

تفسير ابن كثير

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا

وقوله (إنا مكنا له في الأرض) أي : أعطيناه ملكا عظيما متمكنا ، فيه له من جميع ما يؤتي الملوك ، من التمكين والجنود ، وآلات الحرب والحصارات ؛ ولهذا ملك المشارق والمغرب من الأرض ، ودانت له البلاد ، وخضعت له ملوك العباد ، وخدمته الأمم ، من العرب والعجم ؛ ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين ؛ لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها . وقوله : (وآتيناه من كل شيء سببا) : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدي ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم : يعني علما . وقال قتادة أيضا في قوله : (وآتيناه من كل شيء سببا) قال : منازل الأرض وأعلامها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (وآتيناه من كل شيء سببا) قال : تعليم الألسنة ، كان لا يغزو قوما إلا كلمهم بلسانهم . وقال ابن لهيعة : حدثني سالم بن غيلان ، عن سعيد بن أبي هلال ؛ أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار : أنت تقول : إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا ؟ فقال له كعب : إن كنت قلت ذلك ، فإن الله تعالى قال : (وآتيناه من

كل شيء سببا) .وهذا الذي أنكره معاوية ، رضي الله عنه ، على كعب الأخبار هو

الصواب ، والحق مع معاوية في الإنكار ؛ فإن معاوية كان يقول عن كعب : " إن كنا

لنبلو عليه الكذب " يعني : فيما ينقله ، لا أنه كان يعتمد نقل ما ليس في صحيفته ، ولكن

الشأن في صحيفته ، أنها من الإسرائيليات التي غالبها مبدل مصحف محرف مختلق ولا

حاجة لنا مع خبر الله ورسول الله [صلى الله عليه وسلم] إلى شيء منها بالكلية ، فإنه

دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض . وتأويل كعب قول الله : (وآتيناه من كل

شيء سببا) واستشهاداه في ذلك على ما يجده في صحيفته من أنه كان يربط خيله بالثريا

غير صحيح ولا مطابق ؛ فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك ، ولا إلى الترقى في أسباب

السموات . وقد قال الله في حق بلقيس : (وأوتيت من كل شيء) [النمل : 23] أي

: مما يؤتى مثلها من الملوك ، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب ، أي : الطرق

والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضي وكسر الأعداء ، وكبت ملوك الأرض

، وإذلال أهل الشرك . قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سببا ، والله أعلم .وفي "

المختارة " للحافظ الضياء المقدسي ، من طريق قتيبة ، عن أبي عوانة عن سماك بن حرب

، عن حبيب بن حماز قال : كنت عند علي ، رضي الله عنه ، وسأله رجل عن ذي

القرنين : كيف بلغ المشارق والمغارب ؟ فقال سبحان الله سخر له السحاب ، وقدر له

الأسباب ، وبسط له اليد .